هموم روائية

علوية صبح

أعمار كثيرة أعيشها في كل رواية

تقف هذه الزاوية مع روائي عربي عند أسئلة الرواية العربية اليوم، في ظل غياب النقد، وفي محاولة لرسم مشهد الرواية العربية وتشخيص حالها من خلال كتّابه. «الشخصيات التي كتبتها غيّرت أشياء كثيرة في ذاتي» تقول الروائية اللبنانية لـ «العربي الجديد»

بيروت ـ **العربي الجديد**

■ كيف تفسّرين ظاهرة الاهتمام بالرواية العربية في العقدين الأخيرين؟

في ظنّي أن هناك العديد من الأسباب. ففي زمن المتغيّرات الكبرى في المجتمعات تزدهر الرواية. ثمة حاجة للّجوء إلى السّرد والتعبير عن التجارب الفردية أو المجتمعية.

ولا ننسى التأثير بحركة الرواية العالمية والغربية، حيث للرواية حضور فاعل في مجتمعاتنا.

وكذلك الجوائز العربية التي لها تأثير كبير جدًا، والتركيز من دور النشر على إصدار الروايات، لكونها جاذبةً للقرّاء. ثم إنّ الرواية باتت موضة، ما أدى إلى استسهال في كتابتها، وتراكم هذا الكمّ لدرجة كبيرة، كما حدث سابقًا مع الشعر، ولكن لم يبقَ سوى الشعراء الكبار. وكثيرًا ما نقرأ على الغلاف كلمة رواية، ثم نجد أن الكثير منها لا يمتّ بصلةً إلى الإبداع الروائي على الإطلاق. لكن ما همّ، فما يبقى هو الروايات الحقيقية والعظيمة.

■ هل توافقين على أن الرواية العربية اليوم تسير بلا حركة نقد جدّية توازيها، وهل أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي بديلًا من النقد والنقّاد؟

هناك نقّاد كبار في وطننا العربي، وإن كانوا قلّة. هذا بالإضافة إلى النقد الأكاديمي الجادّ في الجامعات العربية والغربية للمتخصّصين في دراسات الأدب العربي الحديث، كما القديم. لكنّ التأثير في القرّاء أمر مختلف. ربما فاعلية المرجعية النقدية الجادّة تراجعت على القرّاء العاديين لأسباب كثيرة. إنّ لجان التحكيم في الجوائز العربية أخذت كثيرًا من دور النقّاد، ولها التأثير الأكبر في نسبة القراءة. أما ما يُكتب من «بوستات» عبر وسائل التواصل الاجتماعي، فأغلبه يأتي من باب الدعاية والإعلان للمتتبعين. ولكن علينا ألّا نضيّع البوصلة.

■ هل هناك قارئ افتراضي تفكّرين به في أثناء الكتابة أو عند دفع الكتاب للنشر، وما ملامح هذا القارئ؟

لا أفكّر مطلقًا بالقارئ ولا بالنقد ولا بأي رقابة ذاتية أو بأي شيء يحول دون ما أريد التعبير عنه بشكل حقيقي، ودون أي زيف أو مراوغة أو حيَل لغوية. أنسى حتى نفسي والعالم وكل شيء حولي. أعيش خلال الكتابة عوالم الشخصيات ومشاعرهم، وأحسب نفسي كل واحد منهم. أصير هم ويصيرون أنايَ. وحين أنتهي من كتابة الرواية أجد صعوبة في التخلّص منهم. وبعدما يرحلون عني أجد أنهم غيّروا أشياء كثيرة في ذاتي. كأنهم كانوا المعلّم لي لتعلّم الحياة، بعدما وهبوني أعمارًا كثيرة عشتها معهم في كل رواية. والغريب أنه قبل البدء بأي رواية أشعر بنقصان هائل في حياتي، فأسعى لتكتمل مع عيشي حيوات الشخصيات خلال الكتابة.

> لجان التحكيم في الجوائز العربية أخذت كثيرًا من دور النقّاد

> أعيش مشاعر الشخصيات وأحسب نفسي كل واحد منها

■ لكونك روائية، من هو فريقك، هل تعتمدين على محرر في أثناء كتابة العمل، أو مدقق بعد الانتهاء منه؟

يحدث أن أقدّم الرواية إلى دار النشر (دار الآداب) وهي لديها مدقق لغوي لتفادي أي خطأ.

■ ما هي علاقتك بناشرك وإلى أي درجة تعتبرينه شريكًا؟

علاقتي بـ «دار الآداب» التي تُصدر رواياتي جدّ وثيقة وممتازة ورائعة، كما تربطني صداقة حميمة بالسيدة رنا إدريس مديرة الدار. وأنا أثق جدًا بها، وبأي رأي تبديه بكل صراحة. إنني أعتبرها حقًا شريكة فعلية صادقة وأمينة.

■ تثير جوائز الرواية جدلًا بين من يشكّكون بمصداقيتها وجدّية القائمين عليها، معتبرين أنها أعادت الرواية العربية إلى الوراء، وبين من يعتقدون أنها تساهم في ازدهار فن الرواية وتنشيط سوقها في العالم العربي. كيف تقرأين هذا المشهد وكيف تتعاملين معه؟

لقد ساهمت الجوائز العربية كثيرًا في اتساع نسبة القراءة لأعمال الفائزين من الكتّاب. أما الفوز فذلك يعود للجان التحكيم، فهي المسؤولة عن الاختيار. هناك أعمال كانت تستحق، وأخرى لا أعرف لماذا اختيرت. وبالنسبة إليّ، أعتبر أن الكاتب الذي يقدّم عمله للجوائز، يجب أن يتقبّل النتيجة مهما كانت. وبرأيي أنه ليس بالضرورة أن الروايات الجيدة التي لم تفز هي أقلّ قيمة من أعمال الفائزين.

■ كيف تنظرين إلى ظاهرة ورشات تعليم الرواية، وعلى المستوى الواقعي ما هي ورشة الروائي أو محترفه برأيك؟

من جهتي لا أؤمن بهذه الورشات ولم أقبل طلب بعض الجامعات لتدريس كتابة الرواية. لا أعرف إن كانت الموهبة تحتاج إلى تعلّم التعبير عنها. وحدها الثقافة تصقلها. ربما الموهبة عنيدة لا تطيع إلا صاحبها ولا تهتدي للتعبير عنها إلا به.

■ كيف تفسّرين ظاهرة الرواية «الأكثر مبيعًا» في العالم العربي؟

هذه الظاهرة موجودة في كل العالم، ولكن ليست الأكثر مبيعًا هي الأكثر قيمة أدبية.

■ ما هو برأيك موقع الرواية العربية على خريطة الإبداع العالمي؟

يبدو أن القرّاء الغربيين لا يُقبلون على الاهتمام بالروايات العربية. إنهم يهتمون بالروايات الغربية بشكل أساس، إلا لمن فازوا بجوائز كبيرة. ولكن هناك روايات عربية كبيرة لا تقلّ أهمية عمّا يُنتج في الغرب. والرواية العربية ما زال لديها تحديات كثيرة ليكون لها موقعها العالمي، إلا أنها تتقدّم بشكل ملحوظ.

■ ماذا تقولين لروائي عربي شاب يكتب روايته الأولى الآن أو يفكر في كتابتها؟

ألّا يستعجل في الإصدار. العمل الروائي يحتاج إلى مجهود كبير ليتيقّن الكاتب من قدرته على إنجاز عمله.

بطاقة

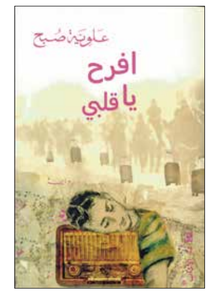

كاتبة وروائية لبنانية، من مواليد بيروت عام 1955. صدر لها: «نوم الأيام» (1986)، و«مريم الحكايا» (2002)، و«دنيا» (2006)، و«اسمه الغرام» (2009)، و«ان تعشق الحياة» (2020)، و«افرح يا قلبي» (2022). تُرجمت رواياتها الى لغات عديدة منها الفرنسية والالمانية والإيطالية والانكليزية. حازت عدة جوائز، من بينها جائزة السلطان قابوس للإبداع الروائي (2008)، وجائزة الصويس للرواية (2019).

علوية صبح

مسرح

الخامسة فجراً عن ازدواجية معايير اللجوء في أوروبا

موعدٌ سوري أوكراني على الخشبة

في عملها الذي يُعرَض بزيورخ، تضع المسرحية السورية لبنى أبو خير ازدواجية معايير اللجوء في سويسرا، من خلال قصّة لاجئَتين من سورية وأوكرانيا

أنس الأسعد

بين الألبانية والعربية تتحرّك الكاتبة والفنّانة المسرحية السورية المقيمة في مدينة زيورخ بسويسرا، لبنى أبو خير (1992)، ولجمهورَين مُختلفَين تكتب وتُقدّم اشتغالاتها على الخشبة، وتلعب أدواراً تمثيلية في الأفلام القصيرة. وضمن هذا الإطار، قدّمت خرّيجة «المعهد العالي للفنون المسرحية» في دمشق أعمالها الأخير «الخامسة فجراً» (2024) في «مسرح سوغار» بمدينة زيورخ السويسرية، خلال عدّة مواعيد منذ مطلع أيلول/ سبتمبر الجاري، وتستمرّ العروض في أمسيات الأربعاء والخميس والأحد المُقبلة.

تتحدّث أبو خير إلى «العربي الجديد» عن عملها الذي ألّفته وشاركتها بتقديمه الموسيقية الأوكرانية يولياننا خومينكو، في حين وقّعته المُخرجة السويسرية أورسينا غرويل: «التمييز العنصري هو الموضوع الأساسي الذي انطلقتُ منه، بالإضافة إلى مفهوم الصدمة وتكرارها، ففي مقهىً سويسري تلتقي شابّتان لاجئتان، سورية وأوكرانية، كلّ واحدة منهما قادمة من بلد يخوض طبعتَه الخاصّة من الحرب واللجوء، لكنّ نظام اللجوء السويسري يتعامل بازدواجية معهما. وفي ذلك المقهى تكون المواجَهة لتحمل في لحظاتها خليطاً من المشاعر: الفضول، والكُره، ومحاولات التعارُف، والغناء، حتّى تتّحد اللُّغتان مع بعضهما وتُشكّلان صوتاً جديداً. وقد استمدّ العمل اسمَه من خواطر أصدقاء مهاجرين يعانون من اضطرابات في النوم، حيث اتّفق الجميع، ومن غير قصد، أنّهم لا يستطيعون النوم حتى الخامسة فجراً».

كتبت أبو خير وقدّمت ثلاث مسرحيّات أخرى باللغة الألمانية: «مقهى دمشقي» (2018)، و«الضوء المكسور» (2019)، و«حرب الجين» (2022). ومن الأفلام القصيرة التي شاركت فيها: «رائحة البرتقال» (2022) الذي حصلت عنه على جائزة أفضل ممثّلة في «مهرجان أماركورت السينمائي» بإيطاليا، و«قمر أزرق» (2024).

تُسقط المسرحية السورية بعضاً من سيرتها على عرضها الجديد، لكنّها تربطه أوّلاً بخلفيّتها الأكاديمية. تُتابع حديثها إلى «العربي الجديد»: «هذا هو عملي المسرحي الرابع، بالإضافة إلى فيلمَين قصيرين، مع عدّة مشاركات مسرحيّة أخرى في ألمانيا وسويسرا. أنا خرّيجة قسم الدراسات المسرحية في «المعهد العالي للفنون المسرحيّة» في دمشق، وهذا العمل هو استمراريّة لما كرّستُ وقتي له في السنوات السابقة، وهو الكتابة والأداء المسرحي. أعمل بشكل أساسي على استخدام اللُّغتين العربية والألمانية في عملي، دون استخدام شاشة الترجمة على الخشبة كي يفهم الجمهور القصّة باللُّغتين، وحتّى يتعرّف أيضاً على اللغة العربية بطريقة مختلفة، فطيلة السنوات السابقة أجرّب طُرُقاً أنقلُ فيها شعرية العربية إلى الألمانية والعكس. وفي هذا العرض، أعتبر أنني بلورت وجودي ممثّلة وكاتبة في الألمانية والعربية، وهذا ما لمسته من تلقّي الجمهور وتأثّره بالعرض».

الهجرة واللجوء والاغتراب وكيفية تعامُل المجتمع الغربي معها ثيماتٌ حاضرة في أغلب أعمال الفنّانين الذي هاجروا إلى أوروبا خلال العقد الأخير، بفعل الظروف السياسية، ما سيرهم الذاتية في أعمالهم الفنّية. عن هذا تقول أبو خير: «أقيم في سويسرا منذ عام 2016، وطيلة هذه السنوات الثمانية ظللتُ أعرّف فيها عن نفسي، وفي كلّ لحظة كنتُ أجذبني أمام أسئلة كُبرى مثل أن أسأل عن هويّتي، العرقية والدينية، فاضطرّ أن أشرح ثقافة منطقة بأكملها. سؤال الهوية يُطرح في كلّ دقيقة، حتى عندما أكون وحدي أدرس الألمانية أو الفرنسية، يُطرح أيضاً عندما أساعد أحدهم في تعلّم العربية، وكما ذكرتُ سيرتي الذاتية هي لُغتي، إن جاز القول، وبالتالي لا بُدّ أن تكون حاضرة في العمل الفنّي، فهي المدخل الأوّل لأيّ فنّان ليُقدّم نفسه أكثر من أن يكتفي بلغة البلد المضيف، طبعاً إتقان لغة بلد المهجر أمر رائع، ولكن يجب ألا ترافقه قطيعة مع لغة الفنّان الأصلية».

في أحد الحوارات الإذاعية، تصفُ لبنى أبو خير عرضَها «الضوء المكسور» (إخراج: إيفانا غيتس) بأنّه الأقرب إليها والذي يُمثّل هويّتها، وهو يدور حول الثيمة الأساسية في أعمالها: استخدام المُهاجِر لُغة الجديدة في بلد اللجوء. أمّا في الفيلم القصير «رائحة البرتقال» (إخراج: الأخوين ملص، 19 دقيقة) المأخوذ عن مسرحية «الموت والعذراء» للتشيلي أرييل دورفمان، فنجد الثلاثي السوري يستعيدون أمنيات الخلاص من الديكتاتورية في عرض لا يُمكن أن يقدّموه في بلدهم بطبيعة الحال. وعن هذا التفصيل تقول: «من جهة أولى الهويّة لا تتغيّر ولا تتبدّل، الهويّة يُضاف إليها دائماً؛ ومن جهة أخرى علينا ألّا نعتبر أنّ تقديم العروض في بلدنا الأمّ هو الأهمّ على الإطلاق، أليس الجمهور هُنا مهتمّاً بالاستماع إلينا ويستحقّ التقدير؟ ومن الأمثلة على ذلك مُشاركتي مؤخّراً مع فرقة «غصن زيتون» للفنون الشعبية الفلسطينية في جولة أوروبية، وقد تلقّاها الجمهور بترحاب وتأثّر كبير، خاصّة أنّها جاءت في سياق احتجاج تشهده مُدن العالم ضدّ الإبادة الصهيونية في غزّة. وعليه، لماذا نعتبر أنّ التقدير من الوطن الأمّ هو الأهمّ والباقي هو مجرّد تفصيل ثانوي؟ بالنسبة إليّ لو أن هُناك فرصة لتقديم عروض في سورية فساكون مسرورة بنفس الدرجة كما لو دعاني أيّ بلد آخر».

> يحيل عنوان العرض إلى اضطرابات النوم لدى المهاجرين

وتختم الفنّانة حديثها إلى «العربي الجديد»: «أبرز الصعوبات الإنتاجية التي تستوقفني اليوم في عملي المسرحي هي إيجاد الفريق الذي أريد أن أكمل معه، أنا دائمة التعرُّف إلى فنّانين جُدد، وأشعر أنني كلّ مرّة أبدأ من الصفر مع فريق عمل جديد. الصعوبات الإنتاجية دائمة موجودة، ولا سيما في ظلّ الأزمات الكبيرة التي نعيشها. وأنا كحال أيّ فنّان تأقلمتُ معها. أمّا الصعوبات الفكرية فتتجلّى في سؤال: ما هو التالي؟ سوى ذلك لا أشعر بتحدٍّ مختلف عمّا يشعر به أيّ فنّان بشكل عام».

فلسطة العرض: لبنى ابو خير (على اليسار) ويوليانا خومينكو (تصوير: عايشة يفاز)

ذاكرة

كأنّ آخر خمسمئة عام حدثت دفعةً واحدة

زاويتان على الحرم الإبراهيمي

ضاعت كلّ الصور التي التقطتُها أمام حائط المسجد. لكن لفرط ما اطلتُ النظر فيها حفظتُها كما هي. طُبعت في ذاكرتي وإنْ ضاع وجودها الفيزيائي

يزن التميمي

عثرتُ على صورة للحرم الإبراهيمي تُظهر حديقته الأمامية، حفظتُها على هاتفي وافتحها بين فترة وفترة، وأتأمّلها طويلاً طويلاً؛ هذه الحديقة الصغيرة أمام المسجد، وخلف هذا المبنى الغريب والدرج المعتّى به، هو الجانب المحرّم على الفلسطيني إلا في المناسبات الدينية وأحياناً فقط. في ذلك الجانب وأمام حائط المسجد الضخم، كنتُ أقضي ساعات طويلة من قبل صلاة الظهر إلى ما بعد صلاة العصر في شهر رمضان، بشكل شبه يومي، وعلى مدار ثلاثة أعوام، حين كنّا لا نزال نسكن تل الرميدة؛ الحي المستحدث من البلدة القديمة، كنت أتحيّن فرصة أن يُتاح لنا هذا الجانب المنظّم والواسع والرتيب للصلاة والإقامة، فأقيم طويلاً فيه كأنني أعوّض كلّ ما فاتني. أتذكّر مرّةً أنّي التقطتُ صوراً عديدةً أمام حائط المسجد المواجه للحديقة، ضاعت كلّ هذه الصور، لكنّي لفرط ما أطلتُ النظر فيها حفظتها كما هي، فهي مطبوعة في ذاكرتي ولو ضاع وجودها الفيزيائي. وهذه الصورة الآن أفتحها وأتأمّلها، ما أصغر هذه المساحة! ما أصغر الحديقة وأضيق الدرج! كيف احتفظت بها ذاكرتي ساحات ضخمة كنت ألعب فيها وأتشاكس مع أصدقائي ثم نستريح قبل الصلاة بقليل وبعدها لقراءة شيء من القرآن؟

الحواجز الملعونة، الجنود المدجّجون بالسلاح، البوّابات الأربع التي أمرُّ فيها، خواتمي التي أنساها دائماً على الطاولة حين أضطرّ لخلعها، بطاقات الهوية التي نُسأل عنها رغم أننا لم نحصل عليها بعد، كلها جعلت هذه المساحة الصغيرة في مخيّلتي عالماً خرافياً بلا نهاية.

■■■

هناك زوايا كثيرة لم أنظر يوماً من خلالها إلى الحرم الإبراهيمي،
يحتلّها جندي منذ أن خُلقتُ إلى الآن؛
لم ينزل حتى هذه اللحظة،

> هذه المساحة الصغيرة غدت في مخيّلتي عالماً خرافياً بلا نهاية

وإلى هذه اللحظة لم يُسمح لي بالصعود!

هذه الساحة إلى يمين الحرم كانت تعجّ بحشود التجّار من كلّ مدن العالم الإسلامي، كانوا يركنون جمالهم على بُعد زقاقين، ويتركون متاعهم في الخان، ثم يُقبلون إلى الصلاة في الحرم.

هكذا أخبرني أبي، لكنّه لم يعُد يذكر هل رأى هذا بعينيه أم هي ذكرى قصّة رواها جدّي؟ لم أعد أسأله. أستمتع وهو يخبرني عن البلدة القديمة، كأنّ آخر خمسمئة عام حدثت دفعةً واحدة، وكأنّه عاصرها كلّها.

أبي عاش في الخليل كلّ تاريخها، ولا بدّ أن أدعه في يوم يُكمل الحكاية لينقلها إليّ.

لكنّ ما يمنعني من أن أرى الحرم من ذلك التلّ؟

ومتى ينزل ذلك الجندي؟

ومتى أصلّي إماماً في الحرم؟ أتناوب مع برهان الدين الجعبري، الذي زارهُ ابن بطوطة حين مرّ من غزّة إلى الخليل، ومنهما إلى القدس..

صلّى أبي معهما في تلك الليلة،

كان له لقب غريب وقتئذ، له صلة بالرمل.

أخبرني الإمام مرّةً أنني إذا أتممتُ حفظ القرآن فسيُعطيني شهادة عليها أسماء شيوخه منذ نزل، صلّى واحدهم آخر ثمانمئة عام إماماً للحرم!

وأبي صلّى خلفهم جميعاً.

لكن لماذا لا أنظر إلى الحرم من تلك الزاوية؟

ومن منع دخول الناس إليه اليوم؟

(كاتب فلسطيني مقيم في ألمانيا)

من المسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل، 28 تشرين الثاني/ نوفمبر 2021 (Getty)

فعاليات

تنطلق، عند الثانية من بعد ظُهر غد الخميس، في «دار الثقافة» بمدينة مرناق التونسية، فعاليات **المهرجان الجهوي لنوادي المسرح**، وتتواصل ثلاثة أيام. من بين العروض المشاركة: **عرائس النور** لـ **مريم الزياني**، و**الذاكرة المنسية** لـ **سوسن الحمزاوي**، و**عرس الذيب** لـ **لطفي العبيدي**، و**المصير** لـ **مهدي الماجري**.

يُفتتح، عند السابعة من مساء الاحد المقبل، في «غاليري مطافئ: مقرّ الفنّانين» بالدوحة، معرض **اصداءٌ ابديةٌ: صرخة غزّة الصامتة** للكاتبة والفنّانة **حياة اليماني**، ويتواصل حتى الثاني من تشرين الثاني/ نوفمبر المقبل. يضمّ المعرض سلسلة اعمال نفّذتها اليماني من البالونات التي تحوّلت من رمز للاحتفال الى علامة على بشاعة الجريمة المرتكبة بحقّ اطفال غزّة.

حتى الاربعاء المُقبل، تتواصل النسخة العاشرة من **ايام فلسطين السينمائية** في مدن القدس ورام الله وبيت لحم وحيفا وشفا عمرو والخليل. تشارك في التظاهرة، التي افتتحت امس الاربعاء، افلام عدّة مثل: **الصلاة من اجل نهاية العالم** لـ **توني هيسن شاي**، و**الهروب** لـ **محمد الصواف**، و**المرهقون** لـ **عمرو جمال**.

حتى العاشر من الشهر المقبل، يتواصل، في «غاليري ياسين» بالقاهرة، معرض استعادي للفنّان التشكيلي المصري **عبد الوهاب مرسي** (1931 - 2021). يقترح المعرض، الذي افتتح الاحد الماضي، مختارات من اعمال مرسي التي نفّذها منذ ستّينيات القرن الماضي حتى رحيله، ووظّف خلالها عناصر فرعونية في الرسم والنحت الغائر.